المبحث الأول

الخلفية التاريخية والأووضاع السياسية في المنطقة قبيل الحملة

المبحث الأول

الخلفية التاريخية والأوضاع السياسية في المنطقة قبيل الحملة

توطئة:

لابد لنا قبل الحديث عن حملة خليل باشا وآثارها على جنوب غربي الجزيرة العربيَّة من التوطئة بنبذة مختصرة عن الأوضاع السياسية في هذه المنطقة وعلاقتها بالوجود المصري في الحجاز، وعلاقة بعضها ببعض، حتى يُمكن بناء صورة تاريخية وافية قبيل وأثناء وبعد الحملة التي غيرت الأوضاع بشكل كامل في منطقة المخلاف السليماني.

ولعل أهم الوحدات السياسية في جنوب غربي الجزيرة العربيَّة التي يُمكن الحديث عنها نظراً لعلاقتها المباشرة بأحداث الحملة هي: إمارة (عسير) وإمارة (أبو عريش) و(اليمن) ، وسأتحدث عن كل واحدة منها على حدة:

أولاً- إمارة عسير:

بدأت حملات محمد علي باشا على الجزيرة العربيَّة في عام ١٢٢٦ هـ[١]

(١) كانت الأوامر قد صدرت من السلطان العثماني مصطفى الرابع إلى محمد علي باشا للقيام بمهمة القضاء على الدولة السعودية الأولى عام ١٢٢٢ هـ، إلاَّ أن محمد علي اعتذر عن القيام بالمهمة بسبب التدهور الاقتصادي واستيلاء المماليك على الصعيد؛ وخشيته من أطماع الدول الأوربية، واستمر يثير للدولة العثمانية العذر تلو الآخر، ويحدد المطالب التي يرغب الحصول عليها قبل قيامه بهذه المهمة، وبعد أربع سنوات من صدور أول تكليف بدأت الحملة الأولى ضد الدولة السعودية في ١٩ رجب ١٢٢٦ هـ الموافق ١٨ أغسطس ١٨١١ م بقيادة طوسون باشا.
انظر: عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ٣٠٦ - ٣١١.

والأمير طامي بن شعيب يتربع على إمارة عسير[١]، ولم يكن له من نشاط عسكري سوى محاولة إخضاع الشريف حمود بن محمد أبو مسمار -حاكم إمارة (أبو عريش) - والذي تمرد على القيادة السعودية خاصة بعد معركة (بيش) عام ١٢٢٤ هـ، والتي قتل فيها عبدالوهاب بن عامر (أبو نقطة) أمير عسير وانهزمت قوات الشريف حمود أبو مسمار.

ومن ثَمَّ توالت حملات طامي بن شعيب على المخلاف السليماني الذي أصبح مسرحاً لقواته مدة من الزمن، ولعل أبرزها الحملة على (صبيا) و(ضمد) عام ١٢٢٤ هـ، والتي انتهت بالاستيلاء على (صبيا) وخروج الشريف منصور بن ناصر منها وضمها إلى (عسير)[٢]، ثُمَّ الحملة التي قام بها طامي ابن شعيب وعثمان المضايفي على المخلاف السليماني في ربيع الأول عام ١٢٢٥هـ، ووصل فيها إلى (اللحية) وهزم الشريف حمود في موقعة (بربر)، ثُمَّ السيطرة على (جازان) والعودة إلى (عسير)[٣]، والحملة الثالثة كانت أيضاً على (اللحية) في شعبان عام ١٢٢٥ هـ، حيث تَمَكَّنَ من دخولها وإحراقها رغم الجهود التي بذلها الشريف يحيى بن حيدر في سبيل تحصينها والدفاع عنها[٤].

---

(١) تولى طامي بن شعيب المتحمي إمارة عسير بعد قتل الأمير عبدالوهاب بن عامر نقطة في معركة (بيش) يوم الإثنين ٢٩ جمادى الثانية ١٢٢٤ هـ.

انظر: ابن مسفر، أخبار عسير، ٦٤ ؛ النعمي، تاريخ عسير، ١٤٥.

(٢) النعمي، المرجع السابق، ١٤٤ ؛ البهكلي، نفح العود، ٢٥٧.

(٣) النعمي، المرجع السابق، ١٤٦ ؛ ابن مسفر، المرجع السابق، ٦٦.

(٤) ابن مسفر، المرجع السابق، ٦٧ ؛ البهكلي، المرجع السابق، ٢٧٢ - ٢٧٣.

وفي العام نفسه قام بحملته الأخيرة مرة أخرى على الحديدة، وتَمَكَّنَ من السيطرة عليها، واستولى على ما فيها من الأموال والغنائم، وعاد إلى عسير[١].

وإن كنت هنا لست بصدد تفصيل هذه الأحداث وتحليلها إلاَّ أن اللافت للنظر كثرة حملات أمير عسير على المخلاف السليماني في هذه الفترة، دون أن يكون فيها مواجهة مباشرة أو حاسمة مع الشريف حمود، أو محاولة للسيطرة أو الهجوم على (أبو عريش) عاصمة المخلاف السليماني، ولعل الأمير طامي بن شعيب تهيّأ للمعركة الحاسمة مع الشريف عن طريق إضعاف نفوذه على الموانى التي تعدُّ مصدراً مالياً مهماً، إضافة إلى محاولة تطويقه بالسيطرة على بعض المواقع الاستراتيجية مثل: (صبيا) و(ضمد) و(الشقيري) و(اللحية) وغيرها، ولكن الأحداث طرأت في الجزيرة العربيَّة بوصول قوات محمد علي باشا وأدّتْ هذا التخطيط، وحولت مجرى الأحداث واتجاهها شمالاً، ممَّا أعطى الشريف حمود الفرصة لتنفس الصعداء وبدأ مرحلة أخرى من تاريخه السياسي في المنطقة بعد أن عقد صلحاً مع الإمام سعود بن عبدالعزيز يدفع بموجبه مبلغاً سنوياً للدولة السعودية، مع بقاء المواقع التي سبق له السيطرة عليها تحت نفوذ عسير، مثل: مخلاف (بيش) ومخلاف (صبيا) وبعض الموانى على ساحل البحر الأحمر[٢].

---

(١) ابن مسفر، المرجع السابق، ٦٧ ؛ ابن بشر، عنوان المجد، ١٥٢/١.

(٢) سعى حاكم صعدة محمد بن علي في الصلح بين الشريف حمود والإمام سعود في مطلع عام ١٢٢٦ هـ، ولعل ذلك بطلب من الشريف حمود الذي رأى توالي الحملات السعودية على بلاده، وما جرته من الويلات والدمار، وقد وافق الإمام سعود على الصلح بموجب شروط وافق عليها الشريف وهي التنازل عن (صبيا) و (بيش) و (الدرب) وعدم المطالبة بها، إضافة إلى مبلغ سنوي يتم دفعه إلى الإمام، ولم تحدد قيمته، وأن يوقف السعوديون هجومهم ضد المخلاف السليماني.

انظر لمزيد من التفصيل: ابن مسفر، المرجع السابق، ٦٧، ٦٨ ؛ النعمي، المرجع السابق، ١٤٧ ؛ عاكش، تكملة نفح العود، ٢٧٧.

انخرطت قوات عسير ضمن القوات السعودية في الدفاع ضد القوات الغازية منذ الوهلة الأولى، وفقدت العديد من رجالها في الدفاع عن المدينة المنورة، وخاضوا معركة (وادي الصفراء) التي هزم فيها طوسون باشا وقواته في شهر ذي القعدة ١٢٢٦ هـ[١].

واستمرت القوات العسيرية في المشاركة ضمن القوات السعودية في أكثر من موقع مِمَّا لفت نظر قادة الحملة المصرية إلى أن القوات العسيرية تعتبر من أشد القوات المقاتلة التي واجهتهم، والتي كانت تقوم بدور رئيس في الدفاع عن منطقة مكة المكرمة والطائف.

ومن ثَمَّ بدأ قادة الحملة في التفكير بشأن هذه الجبهة القوية، ودراسة كيفية السيطرة على هذه القبائل أو إشغالها وتحييدها خلال الصراع مع السعوديين.

ولعل أول مواجهة مستقلة بين قوات طامي بن شعيب وقوات محمد علي باشا تتمثل في معركة (القنفذة) عام ١٢٢٩ هـ حيث نزلت قوات محمد علي باشا في الميناء، وعاثت فساداً ونهباً وقتلاً، ولكن طامي بن شعيب تصدى لتلك القوة وسيطر على آبار الماء، ثُمَّ وقعت معركة فاصلة بين الطرفين انتهت بهزيمة قاسية لقوات محمد علي الذي كان يراقب الموقف عن كثب[٢].

---

(١) يذكر ابن مسفر أن من ضمن القتلى في معركة (وادي الصفراء) هادي بن قرملة رئيس قبيلة (عبيدة) ومانع بن كدم. انظر: ابن مسفر، المرجع السابق، ٦٨ ؛ ابن بشر، المرجع السابق ١٥٨/١.

(٢) عبدالرحيم، المرجع السابق، ٣٢٥ ؛ الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار ٤٦٣/٣ ؛ الرافعي، عصر محمد علي، ١٣٣.

ومن ثَمَّ بدأت مواجهات عديدة بين قوات محمد علي وطامي بن شعيب في (القنفذة) و(تربة) و(بسل) و(زهران) وغيرها من المواقع، عانى فيها محمد علي الأمرَّين، وفقد الكثير من جنوده بسبب استبسال القوات العسيرية في الدفاع عن أراضيها، مِمَّا دفع محمد علي لقيادة حملة كبرى للقضاء على المقاومة العسيرية التي تعتبر الرقم الأصعب في معادلة القضاء على الدولة السعودية الأولى، وتَمَكَّنَ بعد جهود ضخمة من هزيمة القوات العسيرية، والسيطرة على عاصمتها (طبب) وأسر طامي بن شعيب، الذي سُلِّم إليه غدراً من الحسن بن خالد الحازمي[١]، ومن ثَمَّ العودة إلى الحجاز[٢].

وبذلك تكون قد انتهت المرحلة الأولى من الصراع بين القوات المصرية والعسيرية بإخضاع عسير، والتي استمرت في خضوعها لمدة لا تزيد عن ستة أشهر انتفضت بعدها ضد قوات محمد علي في المنطقة وأخرجتها بعد أن تولى الإمارة في عسير محمد بن أحمد المتحمي عام ١٢٣٠ هـ[٣].

---

(١) كان طامي بن شعيب قد فرّ بعد هزيمة قواته أمام محمد علي ولجأ إلى قرية (مسلية) أعلى وادي (بيش) ، ثُمَّ انتقل إلى قرية (الدهناء) حيث نزل عند صديقه العلامة يحيى بن محسن النعمي ليتوسط بينه وبين الشريف حمود عدوه اللدود، ولكن وزير الشريف حمود الحسن بن خالد الحازمي الذي كان يتابع الأحداث عن قرب قام بالقبض على طامي بن شعيب وسلمه إلى قوات محمد علي باشا التي كانت تطارده، وأرسل من ثَمَّ إلى القاهرة ثُمَّ إستانبول حيث قتل.

انظر: النعمي، المرجع السابق، ١٥٥ - ١٥٦ ؛ عبدالرحيم، المرجع السابق، ٣٢٩، عاكش، الديباج الخسرواني، ١٢٩.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول صراع محمد علي باشا ضد القوات العسيرية تقريره إلى السلطان بتاريخ ١٩ صفر ١٢٣٠ هـ، خط همايون رقم ١٩٥٦٦، وفيه إشارة إلى عودته بعد وصوله إلى بيشة عبر زهران، وواصلت قواته الهجوم على عاصمة عسير بدونه.

وانظر أيضاً: عبدالرحيم، المرجع السابق، ٣٢٥ - ٣٣٠ ؛ عسيري، عسير، ١٣٠ - ١٣٤ ؛ النعمي، المرجع السابق ١٥٤ - ١٥٦ ؛ ابن مسفر، المرجع السابق ٧٠ - ٧٣ ؛ آل زلفة، دراسات من تاريخ عسير الحديث، ٢٩ - ٣٤.

(٣) النعمي، مرجع سبق ذكره، ١٥٨ ؛ الحفظي، تاريخ عسير، ٦٨.

ثانياً- إمارة (أبو عريش):

اتجه الشريف حمود بعد إبرام الصلح مع الإمام سعود وتوقف الحملات العسيرية على بلاده إلى إصلاح ما أفسدته الحروب، وقام بتعمير المعاقل والحصون وإحياء المزارع وبناء السدود[١]، وفي تلك الأثناء كانت القوات المصرية توالي زحفها ضد الدولة السعودية الأولى في الحجاز.

وتشير المصادر إلى أن الشريف قد اتخذ سياسة نفعية مع بداية انتصارات تلك القوات؛ حيث نجده يتلقى رسالة من طوسون باشا قائد الحملة المصرية الأولى على الحجاز يطلب فيها مساعدة المراكب المصرية في القيام بمهمات عسكرية وتموينية في موانى اليمن، ويبشره فيها بالنصر على القوات السعودية، وقد سُرَّ الشريف حمود بهذه المبادرة، وردّ على طوسون برسالة رقيقة مؤرخة في ٢٢ محرم ١٢٢٨ هـ متضمنة التهاني بتلك الانتصارات والترحيب بالمراكب المصرية حيث يقول في رسالته: «وذكرتم ما منَّ الله به عليكم وأسداه إليكم من الفتح العظيم، والنصر المقيم.....، نسأل الله ربنا أن لا تزال أحوالكم في ازدياد، بالغون أقصى مراد، الذي يسر أهل الوداد والولاء والاتحاد، وذكرتم وصول جانب المراكب السعيدة إلى بنادرنا (اللحية) و (الحديدة) ، فالبنادر بنادركم والطرف طرفكم....»[٢].

---

(١) العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني ١/٤٧٠.

(٢) من الشريف حمود إلى طوسون باشا، خط همايون، وثيقة رقم ١٩٦٤٠ أ، وتاريخ ٢٢ محرم ١٢٢٨ هـ، أرشيف رئاسة الوزراء، إستانبول.

ولعل تلك السفن التي وصلت إنَّما كانت إضافة إلى البحث عن المواد التموينية للحملة تبحث عن سفن أخرى لاستئجارها للقيام بمهمات عسكرية، يتضح ذلك من الرسائل التي كان يبعث بها محمد علي باشا للإمام المتوكل بهذا الخصوص(١).

ثُمَّ إننا نجد الشريف حمود يسترسل في إظهار الولاء والطاعة لمحمد علي باشا، فقد سبقت الإشارة إلى قيام الشريف الحسن بن خالد الحازمي بتسليم طامي بن شعيب المتحمي إلى قوات محمد علي تقرباً إليه وتزلفاً، ولعل ذلك عن رأي الشريف حمود كما تشير إلى ذلك بعض المصادر(٢)، ثُمَّ تبودلت الرسائل والهدايا وأبرزها قيام الشريف حمود بإرسال أربع من كرائم الخيل ضمن رسالة لعلها تحمل الولاء والطاعة من ناحية والمطالبة بالسماح له بالسيطرة على المناطق التي كان قد فقدها لصالح أمراء عسير سابقاً وخاصة بعد هزيمة القوات العسيرية وأسر طامي بن شعيب(٣).

ولقد كانت سياسة محمد علي باشا مع الشريف حمود نفعية أيضاً، فهو يحاول تحييده في الصراع القائم، ويحاول كسبه إلى جانبه في تلك المرحلة

---

(١) سنتحدث عن ذلك بالتفصيل ضمن الحديث عن اليمن.

(٢) الحفظي، المرجع السابق، ٦٨.

(٣) عاكش، الديباج الخسرواني، ١٣٠ ؛ النعمي، المرجع السابق، ١٥٦، وقد أورد عاكش نص الرسالة الجوابية من محمد علي باشا، والتي كانت لهجتها قاسية، وتتضمن الكثير من الإشارات فيما يخص نظرة محمد علي باشا إلى الشريف حمود ومطالبه ومبرراته.

وإن كانت أطماعه في المخلاف السليماني واضحة[١]، ولكنه أراد تأجيل ذلك مؤقتاً مظهراً حرصه على التئام الصلح بين الشريف حمود والإمام المتوكل، حيث أرسل إلى الإمام المتوكل يطلب منه الصلح مع الشريف، وتركيز التعاون ضد العدو المشترك المتمثل في الدولة السعودية، ولعله يقصد إمارة عسير في تلك المرحلة حيث يقول: «... إننا لَمَّا منّ الله علينا باستقرار الحال في جوار بيت ذي الجلال، لم نزل نسمع ما هو صائر بينكم وبين أخينا الشريف حمود من الحروب وتتابع الجنود، فصرنا نعجب من ذلك، ونستغرب سلوككم هذه المسالك، فلا يخفاكم ما يترتب على ذلك من الفساد، وإتلاف الرعية والبلاد، وكان الأولى بكم صرف الهمة في قتال أعداء الدين والخوارج المارقين» .

ويقول في نفس الرسالة ما يشير إلى رغبته في قيام الشريف والإمام بمحاربة إمارة عسير: «... وكل واحد منكم يكف ضرره عن أخيه، ويقوم بحفظ بلاده التي تليه... والبدار مطلوب بتثوير الحروب على من يحادد اليمن من الخوارج ذوي العناد، الذين يسعون في الأرض بالفساد، وعلى لسان رسولنا نوبتجي باش كمال التحقيق...»[٢].

---

(١) يتضح ذلك من رسالته التي بعث بها إلى الشريف والتي يقول فيها: «غير أن أخبار ما أنتم به من الجهات مفصلاً عندنا قبل ذلك بست سنوات» ؛ ويقول: «ومهما حدث من تلك الحوادث التي يجب رفعها إلينا فليكن بالمبادرة منك عرضها علينا»، ويقول في تحذير الشريف من المقاومة: « ... وإياك أن تهلك باقتحام الأخطار فيمن هلك» .

كل هذه إشارات تدل على أطماع محمد علي في السيطرة على المخلاف السيلماني.

(٢) صالح رمضان محمود، ذكريات الشوكاني، وثيقة رقم (٤٣) من محمد علي باشا إلى الإمام المتوكل، ١٥٠ - ١٥١.

في تلك الأثناء كانت هناك جهود لعلاّمة اليمن محمد بن علي الشوكاني في طلب الصلح بين الشريف والإمام، ولكن في سبيل الوقوف ضد أطماع محمد علي باشا، وهو بمناداته تلك يؤكد بُعد نظره، وقوة بصيرته، حيث أشار إلى أن تلك المراسلات من محمد علي باشا إلى الطرفين إنَّما تحمل أطماعاً سيكشفها الزمن، حيث يقول في رسالته إلى الشريف حمود: «... إني شممتُ من أنفاس بني الأصفر الوافدين إلينا وإليك، والقادمين علينا وعليك، روائح ظاهرها يدعو إلى الصلح والتئام الجرح، وباطنها يشير إلى نكئ القرح، وتوسيع دائرة الفُرقة بين طوائف هذه الفِرقة، وتسعير النار بين سكان هذه الديار» ثُمَّ يضمن رسالته تلك قصيدة تحمل في طياتها تخوفه من قيام محمد علي باشا بغزو المخلاف السليماني واليمن حيث يقول:

فهذي ليوث بني يافث
أطلت فمالي أراكم حيارى
أفيقوا فقد أبدت الحرب عن
نواجذها عند ذا ما توارى
وإن دمتموا في افتراق كما
أرى فالفرار الفرار الفرارا[1]

وقد استجاب الشريف مناشدة الشوكاني وإن كان قد أوضح في رسالته الجوابية إلى أن سبب الخلاف والصراع هو الإمام، وعدم وفائه

(١) صالح رمضان محمود، المرجع السابق، وثيقة رقم (٤٦) من محمد بن علي الشوكاني إلى الشريف حمود، ١٥٦ - ١٥٨.

بتعهداته في محاولات الصلح السابقة[١]، وإن كانت المصادر التي بين أيدينا لم تشر إلى محاولة الشوكاني في الصلح بين الطرفين، بل إن الواقع يؤكد فشل تلك المحاولة، ولعل السبب يعود إلى الإمام ورفضه لهذه المبادرة، حيث إنه يعد الشريف معتدياً يجب عليه الانسحاب من المواقع التي استولى عليها قبل الحديث عن الصلح.

ولعل هذه الرسالة من الشوكاني قد دفعت بالشريف حمود إلى مراجعة موقفه من التحالف مع محمد علي باشا، وجعلته يفكر في مصير إمارته بعد نجاح محمد علي في القضاء على الدولة السعودية الأولى، ومن ثَمَّ نجده يقبل الصلح مع أمراء عسير، بل ويوافق على الدخول معهم في جبهة موحدة ضد القوات الغازية كما سنرى فيما بعد.

ثالثاً- اليمن:

كان الموقف بين إمامة اليمن والشريف حمود عدائياً منذ قيامه بالسيطرة على مدن الساحل اليمني باسم الدولة السعودية الأولى، ولقد كانت اليمن تعيش مرحلة من الضعف في أواخر حكم الإمام المنصور الذي لم يستطع القيام بأي جهد يذكر في سبيل صد هجمات الشريف على تهامة حتى توفي في ١٥ رمضان ١٢٢٤ هـ، وخلفه ابنه المتوكل أحمد في إمامة اليمن، وبدأ جهوده المضنية في سبيل إصلاح ما أفسده والده، وذلك عبر سبع سنوات من النضال والقتال أثبت فيها جلداً وحزماً وبعد نظر[٢].

(١) صالح رمضان محمود، المرجع السابق، وثيقة رقم (٤٧) من الشريف حمود إلى العلامة الشوكاني، ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) العمري، مائة عام من تاريخ اليمن، ١٦٧.

وقد بدأ عهده بالصلح مع الشريف حمود للتعاون ضد قوات الدولة السعودية الأولى الممثلة في طامي بن شعيب وعسير[١]، ولعل لكل من الطرفين مصلحة في هذا الصلح، فالشريف بحاجة إلى مزيد من القوات اليمنية لمواجهة تحديات طامي بن شعيب ؛ والإمام بحاجة إلى إيقاف تغلغل الشريف في تهامة اليمن، خاصة وأنه في بداية توليه للإمامة، وأمامه الكثير من المشاكل الداخلية التي يجب عليه معالجتها قبل التفكير في مواجهة الشريف حمود.

ولقد أضاع الإمام المتوكل فرصة ذهبية في سبيل استعادة تهامة خلال الفترة من ١٢٢٥ - ١٢٢٦ هـ حينما كان الشريف يعاني من تتابع حملات طامي ابن شعيب على بلاده، ولم نجد تحركاً يذكر للإمام في هذا الصدد إلاَّ في عام ١٢٢٩ هـ حيث قام بإرسال حملة بقيادة وزيره علي إسماعيل فارع لتتوجه إلى تهامة، ومن جانب آخر أمر والي (حجة) يحيى بن علي سعد بالنزول من جانبه على رأس قوة من (بكيل) لمهاجمة الشريف حمود الذي بلغ المتوكل أنه موجود في قرية (مختارة) في الغرب من (حجة)، وفي (مختارة) وقعت معركة بين الطرفين هزم فيها الشريف حمود، وجرح هو نفسه وكثير من الأشراف، ولكن الشريف استمال القوات الإمامية بالرشوة والمال فعادت الحملة إلى صنعاء دون تحقيق أهدافها[٢].

في هذه الأثناء وقبلها بقليل كان محمد علي باشا يراسل الإمام موضحاً له أهداف حملته على الجزيرة العربيَّة، ويطلب منه المساعدة لمحاربة (الوهابية).

---

(١) البهكلي، المرجع السابق، ٢٦٢.

(٢) العمري، المرجع السابق، ١٥٧.

ففي شهر ذي الحجة عام ١٢٢٨ هـ وصل من محمد علي باشا وفد عددهم اثنا عشر رجلاً برئاسة الآغا يوسف، ومعهم رسالة من محمد علي إلى الإمام المتوكل تتضمن ثناءً على الإمام، وشرحاً للمهمة التي يقوم بها في الجزيرة العربيَّة، وموضحاً جهوده في جمع الجيوش وتسييرها إلى الحجاز، ثُمَّ يوضح مدى الحاجة إلى مساعدة الإمام ودعمه لهذه القوات حيث يقول: «... ومعلوم شرافتكم الزكية، هذه العساكر تحتاج لها كثرة الذخائر والمهمات الوافية، ولابد بهذه الأطراف السفائن قليلة التي مستعدة لنقل الذخائر، وبحسب علمنا مزيد خلوصكم لطرف الدولة العلية.... اقتضى تحرير طروس قائمة الخلوص محرراً لأجل التفحص عن ذلك... وإرسالها على يد رافعها يوسف آغا... وإن تصرفوا عنان تلك الهمة الباهرة، والمروة الوافرة، بإرسال كافة السفن الموجودة بطرف سعادتكم لهذا الطرف، لأجل نقل الذخائر من جانب السويس، ومن طرف القصير...» .

ثُمَّ يلتزم محمد علي للإمام بتسليم كافة الأجور اللازمة لهذه السفن[١].

ويرد الإمام بالموافقة على إرسال المطلوب «... وقد أمرنا عمالنا والمحافظين على بنادرنا بأن يحملوا صحبة رسولكم الآغا يوسف كل ما وجدوه هناك منها، وأمرنا الآغا يوسف أن يعزم برأينا إلى عمالنا لقضاء هذا المهم...»[٢].

---

(١) صالح رمضان محمود، المرجع السابق، وثيقة رقم (٤٠) من محمد علي باشا إلى الإمام المتوكل بطلب إرسال السفن لحمل الجنود والمؤن.

-playfair , Arabia felix , 131 .

(٢) صالح رمضان محمود، المرجع السابق، وثيقة رقم (٤١) من الإمام المتوكل إلى محمد علي باشا، ١٤٦.

ونجد محمد علي باشا يستعين بالشريف غالب في سبيل إقناع الإمام المتوكل بضرورة الوقوف بجانب الحملة ومساعدتها بإرسال الأخشاب لصناعة السفن في السويس، حيث يرسل الشريف غالب إلى الإمام يبلغه بوصول محمد علي إلى جدة: «... وحل بالسعادة والإقبال في طرفنا ببندر جدة في حفظ الملك المتعال، مصحباً في معيته وآثاره الكتائب العثمانية، من رحيب دياره وأقطاره مجداً بالهمة العلية السلطانية، لمحو آثار الملة الخارجية.... وأشار علينا حضرة المشار إليه أن نعرف جنابكم في بذل الهمة، والمبادرة في تصدير الأخشاب المتحصلة في بندركم (المخا) إلى طرفنا، فالشاحن يخلو بجدة، والخالي بخلوّه يتوجهون جميعاً مع كامل ما في سواحلنا من الأخشاب إلى بندر السويس...»[١].

وقد أجاب الإمام على رسالة الشريف غالب برسالة يوضح فيها قيامه بالمطلوب، وإن كانت تحمل شيئاً من الاعتذار بأن السفائن سارت من البنادر إلى الأطراف ولم يبق منها شيء[٢]، فهل يوحي هذا بعدم قناعة الإمام بالمساعدة أم أنه اعتذار حقيقي؟ وقد تم إرسال السفن بعد عودتها.

ويشير playfair إلى أن من أهداف الآغا يوسف في تلك الزيارة استطلاع أمزجة شيوخ القبائل، والحصول على معلومات عن حالة المنطقة، حيث اكتشف أنها تفتقر إلى أدنى وسائل الدفاع، وتترنح ميزانياتها، وتئن تحت إدارة ظالمة مستبدة، وتستعد للسقوط فريسة لأول غازٍ يصل إليها[٣].

(١) صالح رمضان محمود، المرجع السابق، وثيقة رقم (٤٢) من الشريف غالب إلى الإمام المتوكل، ١٤٨.

(٢) صالح رمضان محمود، المرجع السابق، وثيقة رقم (٤٤) من الإمام المتوكل إلى الشريف غالب، ١٥٢.

(٣) - playfair op.cit, 131 .

إلاَّ أن الإمام لم يخف سعادته بقدوم القوات المصرية للقضاء على خصمه اللدود الدولة السعودية الأولى، فإضافة إلى تبادل الرسائل والتهاني، كانت هناك الهدايا التي من أبرزها الفيل الذي أرسله الباشا إلى الإمام لتأكيد الصداقة، وكان سائسه يطوف به الأسواق ليتفرج عليه الناس[١].

ولقد أثمرت جهود الإمام المتوكل في حسن علاقاته مع قادة الحملة المصرية على الجزيرة العربيَّة من ناحية ومباينته للشريف حمود ومعاداته من ناحية أخرى في استعادة تهامة كما سنرى ذلك لاحقاً.

ويمكننا أن نجمل الحديث عن الأوضاع السياسية في جنوب غربي الجزيرة في الفترة التي سبقت حملة خليل باشا قائلين إن كل وحدة من الوحدات السياسية الثلاث: إمارة عسير، وإمارة (أبو عريش)، واليمن، قد كانت في صراع مع بعضها، البعض يحركها في ذلك قناعاتها ومواقفها من الدعوة السلفية على وجه الخصوص، إلاَّ أن قدوم القوات المصرية إلى الجزيرة العربيَّة قد أوجدت حالة من الركود في صراع تلك القوى فيما بينها، واتجهت جميعاً نحو القوات الغازية بحيث يتطلع كل منها إلى تحقيق أهدافه في ظل قناعاته ومبادئه، فإمارة عسير وانطلاقاً من كونها حاملة للواء السلفية في المنطقة، وداعية لمبادئها، اتجهت مباشرة إلى التصادم مع القوات الغازية ودون تردد، ودخلت في دوامة الصراع والدفاع مع قوات الدرعية على حد سواء، أمَّا إمارة (أبو عريش) فإن سياسة الشريف حمود النفعية جعلته يتخبط في

(١) العمري، المرجع السابق، ١٧٦.

مواقفه، ابتداءً من تأييد القوات الغازية، وانتهاء بمحاربتها، دون أن يكون له هدف معلن، أو مبدأ يدافع عنه.

وبالنسبة للإمامة في اليمن فإنها لم تخف سرورها بقدوم القوات المصرية، ودعمها والدعاء لها بالتوفيق في حربها ضد الدولة السعودية التي سلبت منها جزءاً من بلادها ممثلاً في تهامة اليمن، إضافة إلى الاختلاف في التوجه العقدي بين الإمامة الزيدية والدعوة السلفية.

● ● ●